السينية قائلاً:

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس
وتماسكت حين زعزعني الدهر التماسًا منه لتعسي ونكسي
بُلَغٌ من صبابة العيش عندي طفقتها الأيام تطفيف بخس

إلى أن يقول:

واشتراني العراق خطة غبن بعد بيعي الشآم بيعة وكس

وحتى قوله:

ولقد رابني نبو ابن عمي بعد لين من جانبيه وأنس[1]

البحتري هنا يرسم لنا ظروفًا تاريخية بل وشخصية محددة كانت وراء معاناته. وهذه الظروف التاريخية ـ الشخصية، وإن لم تقف بمعزل عن إطارها الفني، فإنما تلقي بثقلها على تشكل القصيدة وتُسهم بالتالي في تحديد طبيعة المعاناة. فالذي يحدث في «السينية» هو أن الهموم الذاتية ذات الطابع الشخصي تفضي تدريجيًا إلى هموم جماعية ضخمة، حتى إنه ليصعب الفصل بينهما. فالذات التي تفتتح القصيدة بالتأكيد على صمودها أمام نكبات الدهر المتوالية، سرعان ما تكتشف نفسها في أثر بارز لمدنية مختلفة بأكملها. هذا بالطبع في الوقت الذي تظل فيه محافظة على انتمائها الثقافي الأساسي. أي أن الهم الذاتي يتحول إلى مرآة ضخمة تنعكس عليها معاناة تاريخية عبر ثقافية، أو متخطية لحدود الثقافة الواحدة. فعلى المستوى الشخصي هناك علاقة البحتري بابن عمه، وهناك الخطأ الذي ارتكبه بتركه الشام إلى العراق. وعلى

(١) *ديوان البحتري* تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي (القاهرة: دار المعارف، ذخائر العرب، ٢٣٤، ط ٢ ، ١٩٦٣ م) مج ٢ ، ص ص ١١٥٢-١١٦٢.